البـــاطل

الباطل ضد الحق ، وهو كل عمل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ، فمن اتبعه كان من الأخسرين أعمالاً الذين قال الله فيهم:

(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) .

ويكون جزاؤه السخط والغضب من الله والناس أجمعين ، ويكون له فى الآخرة عذاب أليم .

وقيل : الباطل هو كل ما كان فيه معصية لله ، وطاعة للشيطان .

وقيل : الباطل اسم لكل مالا يحل فى الشرع كالربا ، والزنا ، والخمر ، والميسر ، والغصب ، والسرقة ، والخيانة ، وشهادة الزور ، وأخذ المال باليمين الكاذبة ، وأكل أموال الناس بالباطل وجحد الحق . ويقال : أبطل الرجل أى أتى بما لاحق له فيه فهو مبطل .

الخوض فى الباطل حرام

الخوض فى الباطل : هو الكلام فى المعاصى كحكاية أحوال النساء ، ومجالس الخمر ، ومقامات الفساق ، وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك ، ومراسمهم المذمومة ، وأحوالهم المكروهة ، فإن كل ذلك مما لايحل الخوض فيه ، وهو حرام .

وأما الكلام فيما لايعنى أو أكثر مما يعنى ، فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه ، نعم من يكثر الكلام فيما لايعنى لايؤمن عليه الخوض فى الباطل .

وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث ، ولايعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض فى الباطل .

وأنواع الباطل لايمكن حصرها لكثرتها وتفننها ، فلذلك لامخلص منها إلا بالاقتصار على مايعنى من مهمات الدين والدنيا .

وفى هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها ، وهو يستحقرها ، فقد قال بلال بن الحرث : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَايَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَابَلَغَتْ ، فَيَكْتُبُ اللهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،

وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَايَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ بِهِ مَابَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وكان علقمة يقول : كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِى بِهَا أَبْعَدَ مِنَ الثُّرَيَّا » .

وقال أبو هريرة : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة مايلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم . وإن الرجل ليتكلم بالكلمة مايلقى لها بالاً يرفعه الله بها فى أعلى الجنة » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَعْظَمُ النَّاسِ خِطَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِى الْبَاطِلِ » . وإليه الإشارة بقوله تعالى : (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) .

وبقوله تعالى : (فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ)

وقال سلمان : أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً فى معصية الله .

وقال ابن سيرين : كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم : توضئوا فإن بعض ماتفعلون شرّ من الحَدَث .

فهذا هو الخوض فى الباطل ، وهو وراء ماسيأتى من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها .

بل هو الخوض فى ذكر محظورات سبق وجودها ، أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها .

ويدخل فيه أيضا الخوض فى حكاية البدع ، والمذاهب الفاسدة ، وحكاية ماجرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن فى بعضهم ، فذلك باطل ، والخوض فيه خوض فى الباطل .

نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه .

عن كتاب « الإحياء » للغزالى (الجزء الثالث)

الآيات القرآنية الواردة فى الباطل

سورة البقرة

١ — (وَلاَ تَلْبِسُوا الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ٤٢

ولا تخلطوا الحق بالباطل وتخفوا الحق وتعلمون أنه حق .

٢ — (وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ، وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ١٨٨

ولا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل ، ولا تدفعوها إلى الحكام (بصفة رشوة) لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون .

٣ — (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِى يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ، وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) ٢٦٤

يأيها المؤمنون : لاتبطلوا (لاتضيعوا) ثواب صدقاتكم بالامتنان والأذى ، فتكونوا كمن ينفق ماله مرائياً الناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر .

سورة آل عمران

٤ — (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟) ٧١

يا أهل الكتاب : لماذا تكفرون بآيات الله (القرآن) وأنتم تشهدون بما تقرءون عنه فى كتبكم أنه حق منزل من عند الله ؟

ولماذا تخلطون الحق بالباطل وتكتمون الحق (أى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم) التى ترونها مذكورة فى كتبكم وأنتم تعلمون أنها حق .

٥ — (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ ، فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) ١٩١

يقول الله تعالى فى الآية ١٩٠ : إن فى خلق السموات والأرض على مابهما من إحكام

و إبداع ، واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأهل العقول السليمة الذين يذكرون الله على جميع الحالات : قياماً وقعوداً ومضطجعين ، و يتفكرون فى خلق الوجود قائلين :

ربنا ما أبدعت هذا كله عبثاً من غير حكمة ، فننزهك يا ألله عن كل نقص فاحفظنا من عذاب النار .

سورة النساء

٦ — (وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ١٦١

بعد أن ذكر الله أنه حرّم على بنى إسرائيل (اليهود) طيبات كثيرة كانت أحلت لهم وكان ذلك بسبب ظلمهم وصدهم (منعهم) عن سبيل الله كثيراً .

قال : و بسبب أخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، وقد أعد للكافرين منهم عذاباً أليماً .

سورة الأعراف

٧ — (فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ١١٨

لما ابتلعت عصا موسى ذلك السحر العظيم (الذى دبره فرعون وجنوده) ثبت الحق و بطل ؛ أى تلاشى ما كان السحرة يعملون ، فغلبوا وانقلبوا أذلاء صاغرين .

٨ — (إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ١٣٩

لما جاوز بنى إسرائيل البحر فصادفوا قوماً يقيمون على عبادة الأصنام فقالوا : ياموسى؛ أوجد لنا إلهاً كما لهم آلهة ، فقال لهم : إنكم قوم تجهلون ، إن هؤلاء الكفار مدمر ومهدم ماهم فيه من الضلال ، ومضمحلّ كل مايعملونه من عبادة الأصنام والإخبات لها .

٩ — (أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ؟) ١٧٣

ذكر الله فى الآية السابقة ١٧٢ أنه يوم القيامة يقول لبنى آدم : ألست بربكم ؟ فيقولوا : نعم ؛ اعترافاً و إشهاداً منهم ، وهـذا الاعتراف خشية أن يقولوا : إنا كنا عن هذا غافلين ، أو يقولوا : إنما أشرك آباؤنا فاقتدينا بهم ، أفتهلكنا بما فعل هؤلاء المبطلون ؟ .

سورة الأنفال

١٠ — (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) ٨

ليثبت الله الحق و يهدم الباطل ولو كره المجرمون .

سورة التوبة

١١ — (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) ٣٤

يأيها المؤمنون : إن كثيراً من علماء اليهود ورهبان النصارى ليغتالون أموال الناس من طريق الباطل (الرشوة) و بيع الرحمة ، و يصدونهم عن اتباع دينه الصحيح .

سورة يونس

١٢ — (فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ ، إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ ، إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) ٨١

فلما جاء السحرة والتقوا بموسى قال لهم : ألقوا ماأنتم ملقون ، فلما ألقوا حبالهم وعصيهم خيل للناس أنها ثعابين، قال لهم موسى: إن ماجئتم به هو السحر لاماسماه فرعون سحراً ، و إن الله سيبطله ، إنه لايقوى عمل المفسدين .

سورة هود

١٣ — (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ١٦

بعد أن قال الله : من كان يريد الحياة الدنيا وزخرفها سلك الطرق المؤدية إلى رغباته منها من النظام والاقتصاد والأخذ بالأسباب ، وفَّينا إليهم جزاء جهودهم هذه ، ولم نبخسهم ذرةً مما يعملون .

قال : ولكنهم لا يكون لهم فى الآخرة إلا النار ، لأنهم قصروا همهم على الدنيا ، و بطل ماصنعوا فيها ، لأنهم لم يقصدوا به الثواب ، وباطل فى نفسه ما كانوا يعملون .

سورة الرعد

١٤ — (كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَايَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فى الْأَرْضِ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ) ١٧

جعل الله تعالى مثل الباطل كمثل الزبد الذى يتكون فوق الماء ثم يضمحل ، وجعل مثل الحق كمثل الماء والمعادن التى تنفع الناس وتمكث فى الأرض ، وسبق تفسير هذه الآية.

سورة النحل

١٥ — (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ؟) ٧٢

الله جعل لكم من جنسكم أزواجاً ، وجعل لكم منهن أبناء وحفدة (أبناء الأبناء) ورزقكم من الطيبات .

أفتؤمنون بالباطل وهو اعتقادكم فى نفع الأصنام ؟ وتكفرون بنعمة الله حيث تنفقون نعمه على الأصنام .

سورة الإسراء

١٦ — (وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً) ٨١

وقل : جاء الحق بالإسلام وذهب الباطل بالكفر ، إن الباطل كان زهوقاً مضمحلاً .

سورة الكهف

١٧ — (وما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ، وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوا) ٥٦

وما نرسل المرسلين إلا ليبشروا الناس بالرحمة والمغفرة من الله ، وينذرونهم بالعذاب الأليم .

(ويجادل الذين كفروا بالباطل) أى باقتراح الآيات ويتخذوا آياتى والذى أنذروا به هزواً .

سورة الأنبياء

١٨ — (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ) ١٨

بل نرمى بالحق على الباطل فيمحقه ويسحقه فإذا هو هالك ، ولكم الويل مما تصفون به .

سورة الحج

١٩ — (ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ٦٢

بعد أن بين الله فى الآيات السابقة قدرته وعظمته قال : ذلك لأن الله هو الحق الواجب عبادته لذاته ، وأن مايدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلى على الأشياء الكبير على أن يكون له شريك فى ملكه .

سورة العنكبوت

٢٠ — (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) ٤٨

وما كنت يامحمد تقرأ من قبل القرآن كتاباً ولا تكتبه بيدك لأنك أميّ لاتقرأ ولا تكتب .

فلو كنت قارئاً وكاتباً لشكّ المبطلون فى رسالتك وقالوا : إنك تأتينا بما تنتحله من الكتب السابقة .

٢١ — (قُلْ كَفَىٰ بِاللهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولٰئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ) ٥٢

قل لهم يامحمد : كفى بالله شاهدا علىّ وعليكم ينصر الحق ويخذل الباطل يعلم ما فى السمٰوات والأرض . والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله هم الخاسرون .

٢٢ — (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ، أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ ؟) ٦٧

أو لم يروا أنا جعلنا لهم حرما آمنا (الكلام على أهل مكة) بينما العرب يختلسون قتلاً وسبياً مَن حولهم لوجودهم فى حالة حرب دائمة ، أفبالأصنام يؤمنون بعد هذه النعم الإلٰهية الظاهرة و بنعمة الله يجحدون .

سورة الروم

٢٣ — (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فى هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ) ٥٨

ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ، ولئن جئتهم بآية من القرآن ليقولن الذين كفروا ما أنتم (إلا مبطلون) مزوّرون تصنعون الكلام وتدّعون أنه وحى من عند الله .

سورة لقمان

٢٤ — (ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ ، وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) ٣٠

سبق تفسيرها فى سورة الحج .

سورة سبأ

٢٥ — (قُلْ جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) ٤٩

قل : جاء الحق (الإسلام) وهلك الباطل ، والهالك لايبدى ولا يعيد .

سورة ص

٢٦ — (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ، ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) ٢٧

وما خلقنا الكون (السماء والأرض) خلقاً باطلاً لاحكمة فيه ، ذلك ظن الذين كفروا فالويل (الهلاك) لهم من النار .

سورة المؤمن

٢٧ — (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ، فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ؟) ٥

وجادلوا بالباطل ليبطلوا به الحق فأهلكتهم ، فكيف كان عقابى لهم ؟ .

سورة فصلت

٢٨ — (لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) ٤٢

هذا القرآن لايأتيه الباطل من أى جهة من جهاته؛ لأنه تنزيل من إله حكيم ، محمود بكل لسان .

سورة الشورى

٢٩ — (وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) ٢٤

يمح الله الباطل ويذهبه ، ويحق الحق أى يثبته ، لأنه عليم بما يختلج فى صدور الناس من الهواجس والنوايا الرديئة .

سورة الجاثيـــة

٣٠ — (وَلِلهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ) ٢٧

لله الملك المطلق على السموات والأرض ، ويوم تقوم الساعة يخسر أهل الباطل أنفسهم لتماديهم فى الضلال فى حياتهم الدنيا .

سورة محمد

٣١ — (ذٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ ، وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) ٣

بعد أن قال الله تعالى : الذين كفروا ومنعوا الناس عن سبيل الله أى الإسلام ، أحبط الله ماعملوه من حسنات فى دنياهم ؛ وأما المؤمنون فمحا عنهم ذنوبهم ، وأصلح حالهم ، قال : ذلك بأن الكافرين اتبعوا الباطل ، والمؤمنين اتبعوا الحق الذى جاءهم من ربهم ، كذلك يبين الله للناس أحوالهم .

٣٢ — (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ)
٣٣ — ٣٤

يأيها المؤمنون أطيعوا الله ورسوله ولا تبطلوا أعمالكم ؛ لأن الذين كفروا ومنعوا الناس عن الإيمان ثم ماتوا وهم كفار فلن يعفو الله عنهم .

بعض أحاديث وردت فى الباطل

١ — عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَثَلُ الَّذِي يُعِينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ (أى على الباطل) كَمَثَلِ بَعِيرٍ تَرَدَّى فِي بِئْرٍ فَهُوَ يُنْزَعُ مِنْهَا بِذَنَبِهِ » . رواه أبو داود وابن حبان

٢ — وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ فَقَدْ ضَادَّ اللهَ فِي مُلْكِهِ ، وَمَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ لاَ يَعْلَمُ أَحَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ فَهُوَ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يُنْزَعَ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ قَوْمٍ يَرَى أَنَّهُ شَاهِدٌ وَلَيْسَ بِشَاهِدٍ فَهُوَ كَشَاهِدِ زُورٍ ، وَمَنْ تَحَلَّمَ كَاذِبًا كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ طَرَفَيْ شَعِيرَةٍ ، وَسِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ » . رواه الطبرانى

خطبة فى صراع الحق والباطل والعدل والظلم

وأن النصر للأول منهما

الحمد لله يحق الحق ، ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون . الحمد لله يرخى للظالمين العنان ، ثم يأخذهم من حيث لايشعرون .

الحمد لله يقلب الليل والنهار ، ويغير العالم فى الزمن اليسير ، من حال إلى حال .

الحمد لله يمد من أطاعه بالنصر المبين ، ويجازى من جاهد فى سبيله بالفوز العظيم .

(وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) .

أشهد أن لا إله إلا هو بيده ملكوت كل شئ ، وإليه مرجع كل حيّ ، وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، بيّن لنا الطريق المستقيم ، فى كتاب الله وسنة رسوله الأمين .

فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد — فإن العمل اليوم ، والحساب فى الغد (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) .

(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ ، وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) .

نعم لاتتقوا إلا الله ، ولاتخشوا إلا عذابه (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ . إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ . وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ . فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) .

يفعل ما أراد مما يقتضيه عدله وحكمته ، وتدعو إليه مغفرته ورحمته ، فالذين بغوا وظلموا لهم عذاب أليم (وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) ومالهم من دون الله من أولياء ثم لاينصرون ، بل خذلان عظيم ، وخرق كبير ، لايرجى له إصلاح ، ولا يؤمل معه نجاح ، جزاء بما اكتسبوا (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) .

أيها المؤمن : مادمت بالله مصدقًا ، وبالعمل الصالح قائمًا ، فثق بالحياة الطيبة ، والعزة العالية ، والثروة الواسعة (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) ، (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) .

فجِدُّوا واعملوا ، ولا تقولوا ما لاتفعلون (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) لقد ملأتم الجوّ بالكلام ، ومانرى فيكم صالح الأعمال ، وتمنيتم الأمانى الكبيرة ،

ولم تتخذوا لذلك من وسيلة ، بحّ صوت الناصحين ، وتكسرت أقلام الكاتبين ، ولا زلتم فى لهوكم تمرحون ، و بظاهر من القول تفرحون .

ألا إن القول قد فات أوانه ، والعمل أدركم وقته و إبّانه ، فازرعوا الطيب لتحصدوه ، وسابقوا إلى الخير لتغنموه ، فوالله هلك قوم لم يعملوا (وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فاقرنوا القول بالعمل ، وآثروا الجد على الكسل (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) .

اعملوا كما عمل الأسلاف ، و برهنوا بأفعالكم على قوة إيمانكم ، ومضاء عزيمتكم ، وشدة شكيمتكم .

ألا إنى أرى بصيصاً من النور قد ظهر فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأنه أخذ يُبدد الظلم ، ويهدم هيا كل الاستبداد ، ويدك صروح الاستعباد .

وأكبر ظنى أنه سيعم البقاع ، وأنه لكل أمة خير زاد ومتاع ، وأنه غوث الله العظيم (نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) .

فاستبشروا أيها المؤمنون ، واعلموا أن قوة الله فوق كل قوة ، وسطوته أعظم من كل سطوة ، وأن عدله قائم ، وقضاءه نافذ (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) .

روى أبوداود عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثَلَاثَةٌ مِنْ أَصْلِ الْإِيمَانِ الْكَفُّ عَمَّنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَلَا نُكَفِّرُهُ بِذَنْبٍ ، وَلَا نُخْرِجُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِعَمَلٍ ، وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِى اللهُ تَعَالَى إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الدَّجَّالَ ، لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ ، وَالْإِيمَانُ بِالْأَقْدَارِ » .

(عن كتاب إصلاح الوعظ الدينى)
للمرحوم الشيخ محمد عبد العزيز الخولى

الموضوعات

١ — صراع بين الحق والباطل

يدوم خمس سنوات وينتهى بانتصار الأول على الثانى

خلاصة قضية

رفعت من وصى أمين على وصى خائن مغتصب لأطيان القصّر أولاد أخيه

توفى أحد الأعيان ، وترك لورثته (أولاده وزوجته وأمه) أطياناً بثلاث نواح وكانت فى المشاع مع أطيان أخيه الذى تعين وصيًّا على القصر مدة من الزمن ، ثم عزله المجلس الحسبى لسوء تصرفه وتبديده أموال القصر ، وعين وصيا آخر بدلاً عنه ، وحصلت قسمة عرفية بين الشركاء ، وتحرر عقد بها وافق عليه المجلس الحسبى ، واختص القصر ووالدتهم بأطيان فى إحدى النواحى ظهر فيما بعد أنها مرهونة فى دين على أخيه الوصى السابق ، ونزعت ملكيتها بناء على طلب الدائن له ، فاضطر الوصى الجديد لرفع قضية على الوصى السابق المغتصب وشركائه تنفيذاً لعقد القسمة الذى اعترف فيه الوصى السابق — عم القصر — (بأن القطع التى اختص بها القصر ووالدتهم ليس عليها رهونات أو ديون ، وإذا ظهر عليها ضده أى رهن أو دين يكون الطرف الثانى من الشركاء مسئولاً عنها) .

ودفع الشركاء بأن مورّث المدعين كان ضامناً لأخيه فى الرهن الذى من أجله نزعت ملكية الأطيان ، وأنه أقر كتابةً بأنه متضامن فى الدين مع أخيه بموجب (ضمانة صورية مزورة) قدمها هذا الأخ الخائن ضمن أوراق الدعوى ، وكانت المحكمة على وشك الحكم برفض الدعوى ، وضياع الأطيان على هؤلاء القصر ، لولا أن الله جلت قدرته أراد أن يظهر الحق ، ويبطل الباطل ، فألهم الوصى الجديد بوجود مخالصة بين الأخوين تفيد أن الأخ الظالم تحاسب مع أخيه المتوفى على جميع الإيرادات والمصروفات ، ولا يستحق طرفه شيئاً ، وكان ذلك بعد تاريخ الضمانة المزورة بتسعة شهور تقريباً ، فكلفته المحكمة بإحضارها ، وقد أحضرها بعد عناء شديد من دفترخانة المحكمة ، بعد أن كانت مرسلة للحفظ والحرق ضمن القضايا التى انتهى فيها العمل من خمس سنوات .

فبعد أن اطلعت المحكمة عليها (حكمت عليه وعلى شركائه بإلزامهم بدفع الثمن الذى قدره الخبير) ووافقت عليه المحكمة .

وجاء ضمن حيثيات الحكم (أنه تبين من الاطلاع على الورقة المقدمة أخيراً وهى لاحقة فى التاريخ لورقة الضمان التى ضمن فيها مورث المدعين دين أخيه أنه لايستحق طرفه شيئاً وبذلك تكون هذه الورقة قد نسخت ورقة الضمان المقدمة من المدعى عليه الأول لأنها لاحقة لها فى التاريخ ، ويتعين إلزام المدعى عليهم بقيمة الأطيان التى نزعت من تحت يد المدعين وريعها من تاريخ خروجها من تحت يدهما) .

وكان فى ذلك خذلان عظيم لهم ولحضرات المحامين الذين جاءوا للدفاع عنهم و إعانتهم على هذا الضلال ، وانتصار للحق على الباطل ، (واللهُ لايهدِى القومَ الظالمينَ) .

وكانت عاقبة هذا الوصى الخائن الافلاس والسخط واللعنة عليه من جميع الناس .

٢ — الحق يعلو ولا يُعلى عليه

خلاصة رواية تمثيلية عنوانها : « الحق والباطل »

المرحوم صديقنا الحاج محمد الهراوى نذكرها تخليداً لذكره ، واعترافاً بفضله

اتفق أحد الصياغ مع خادم المحل الذى يشتغل فيه على أن يحضر له زبوناً غشوماً ليبيع له العقد المزيف الذى صنعه من الزجاج باسم (الماس حقيقى) ، وأن يعطيه العقد الحقيقى الموجود بالمحل ليبيعه فى الخارج ويقتسما الثمن مناصفةً .

فذهب الخادم إلى السوق ووجد رجلاً فلاحًا ومعه امرأة يبحثان عن محل لشراء عقد من الماس ، فأحضرهما إلى محل الصائغ .

و بعد أن عرض عليهما العقد المزيف ، أخذ يتجادل مع الرجل فى أنه عقد من الماس الحقيقى ، وأمكنه بخداعه وحيلته أن يؤثر على المرأة و إقناعها حتى رضيت وقبلت شراء العقد بمائة جنيه ، وأخرجت من حافظتها أوراق النقود وأعطتها للصائغ ، وانصرفت فرحةً مسرورةً بالعقد .

ولكن زوجها الحريص كان متردداً فى قبول العقد ، معتقداً أنه مزيف ولا يساوى المبلغ المذكور ، فقد خرج غاضبًا ساخطًا عليها .

و بعد انصرافهما أعطى الصائغ للخادم عقداً آخر مزيفًا أيضًا بدعوى أنه من المحل ، وأنه عقد من الماس الحقيق ليبيعه عند أحد التجار بمائة جنيه ، ويأخذ منه خمسين جنيها ، ويعطيه النصف الثانى حسب اتفاقهما .

أما الرجل والمرأة فاتفقا على معاينة العقد عند أحد تجار الجواهر للاطمئنان على صحته ، فلما قدّما العقد إليه لفحصه وجده مزيفًا ومصنوعاً من الزجاج ، وأخبرهما بالحقيقة ، فدهشت المرأة وكادت تصعق ، وحزنت على ماحصل لها ، وأخذ زوجها يهدئ روعها ، ويقيم لها الحجة على أنها كانت مخدوعة فيه ، وأنها كانت متأثرة بأقوال الصائغ الساحرة ، وأنه نصحها بعدم قبوله فلم ترض .

فرجعا مسرعين إلى محل الصائغ الأول الذى باع العقد لها فلم يجدا الصائغ ولا الخادم ، بل وجدا صاحب المحل نفسه ، فتقدمت إليه المرأة وعلى وجهها علامات التأثر والحزن ، ومن ورائها الرجل وأمارات الانفعال والغضب بادية على وجهه ، ومعهما الشرطى (عسكرى البوليس) الذى حضر لضبط الواقعة .

وقدمت المرأة لصاحب المحل العقد المزيف قائلةً للشرطى : هاهو المحل الذى اشترينا منه العقد ، ولكن الصائغ الذى باعه لنا غير موجود ، وكذا الخادم الذى أحضرنا إليه .

فسأل الشرطى صاحب المحل عنهما فأجابه بعدم وجودهما ، وقال له :

يستحيل أن يحصل هذا العمل بمحلى هذا ، لأنه محل مضمون وموثوق به من مدة .

فقدم الرجل إليه الفاتورة التى كانت مع العقد ليثبت له أنها من محله ، وأنها بخط وإمضاء الصائغ ، فدهش صاحب المحل من هذا العمل المزرى المخل بسمعته وشرفه ، وكان له وقع أليم فى نفسه .

و بعد أخذ وردّ وجدال عنيف بين الرجل والمرأة وصاحب المحل ، طلب إليهم الشرطى أن يذهبوا معه إلى القسم للتحقيق معهم بمعرفة الضابط نفسه ؛ فذهبوا وصاحب المحل يقول :

اللّهم أظهر الحق ، اللهم احفظ علىّ سمعتى وشرفى .

وابتدأ الضابط فى فتح المحضر وعمل التحقيق معهم ، وفى هذه الفترة حضر الصانع من الخارج فلم يجد صاحب المحل ووجد الدواليب مغلقة .

أما الخادم فبعد خروجه من المحل أخذ يقلب العقد الثانى الذى أخذه من الصانع لبيعه واقتسام ثمنه بينهما ، فوجده مزيفاً أيضًا ، وأن الصانع قد غشه ، وضحك عليه كما ضحك على الرجل والمرأة وغشهما، فرجع إلى المحل غضبان أسفًا ، ووجد الصانع فأخبره بما رآه ، وحصلت بينهما مشادة ومشاجرة ، انتهت بذهابهما إلى القسم .

وهناك التقى الخادم والصانع بصاحب المحل ومعه الرجل والمرأة ، فعرف الخادم أن الصانع قد وقع فى الفخ ، وأخذ الضابط فى التحقيق مع الجميع ؛ فحينئذ اعترف الخادم بالحقيقة أمام سيده صاحب المحل وقال :

ياسيدى أنا أقول الحق ، إنما أرجو تبرئتى ومعافاتى : هو قال لى فى الصباح إنه صنع عقدا من الزجاج ويريد زبونًا غشيماً يبيعه له باسم ماس حقيق ، وكلفنى أن أحضر له الزبون المطلوب ، فذهبت إلى السوق ووجدت هذا السيد وهذه السيدة معه يبحثان عن محل لشراء عقد فأحضرتهما إليه ، و بعد أن باع العقد الزجاجى بمائة جنيه أعطانى عقدا آخر على أنه ماس حقيق لأبيعه وأحضر له ثمنه ، ثم أخذ منه خمسين جنيهًا نصف ثمن العقد المزيف .

حصل ذلك قبل حضورك ياسيدى ، وأقول لك الحق : إنى نويت أن أنقص مبلغاً من ثمن العقد الحقيقى لآخذ الفرق من هذا الصانع الخائن .

ولما وجدت العقد الذى أخذته منه لأبيعه مزيفًا عدت فى الحال وأخبرته وتخاصمنا وحضرنا إلى هنا .

هذه هى الحقيقة أقررها ، وأمرى لله يفعل مايشاء .

فقال صاحب المحل للضابط : أرجو إثبات ذلك فى المحضر ، وحقيقةً (إذا تخاصم اللصان ظهر المسروق) .

وبعد أن أثبت الضابط كل ذلك فى المحضر ، أمر العسكرى بتفتيش الصانع أمام صاحب المحل ففتشه ووجد معه أوراقاً من النقود قيمتها مائة جنيه ، فأخذها الضابط وسلمها لصاحبتها ، وأثبت ذلك أيضًا فى المحضر . وانصرفت السيدة وزوجها وهما يقولان : الحمد لله الذى أظهر الحق ، وردت إلينا نقودنا .

وحقا المال الحلال لا يضيع ، والباطل يرمى صاحبه فى الدنيا بالخزى والعار ، وفى الآخرة عذاب النار و بئس القرار .

و بعد انتهاء التحقيق وقفل المحضر ، أمر الضابط بحبس الصانع والخادم ، وأرسل الأوراق إلى النيابة لإحالتهما إلى المحكمة للنظر فى عقابهما حسب القانون على جريمة الغش والتزوير ، والنصب والاحتيال .

ولما همّ صاحب المحل بالانصراف ، حامداً شاكراً الله على ظهور الحق ، طلب منه الصانع السماح والمغفرة قائلاً له :

سامحنى إنى تبت الآن ، ولعنة الله على الباطل ، وقد ندمت على مافعلت ، وعزمت على أن لا أعود للباطل أبداً .

فأجابه صاحب المحل : لاتنفع التو بة إلا بعد العقاب ، والله يتوب على من تاب .

والحق يعلو ولا يُعلى عليه .

الحق والزور

الحق طاول فى السماء شهابا ... والزور ساء على الزمان مآبا

هذا هو الكذب الصراح بعينه ... والحق صدق إن أردت صوابا

المين لا يرضاه صاحب عفة ... فيما (صديق) قد رأيت عتابا

ما كنت أرجو أن أذكركم بما ... ساق الإله من الكلام جوابا

فلأنت تحفظ آية وتعيده ... ولأنت تصلى الكاذبين عقابا

ولئن نسيت الآى فاذكر سنة ... فلقد أخذت من الحديث نصابا

ولقد عرفت خلال نفسى يافتى ... أفأستطيع و إن هممت كذابا

أفما ترى أن الصواب بجانبى ... فتجدّ للود القديم إيابا

إنى لأسمع منك وسط مجالسى ... أن للكذوب لدى الإله تبابا

إنى رأيت الحق يعلو واصبًا ... والزور يلحق بالبيوت يبابا

فعرفت حقًا واهتديت بنوره ... وعرفت زوراً فاطرحت خرابا

الحق يرفع صاحبًا ويعزه ... والزور يخفض صاحبًا وصحابا

إن كنت تبغى أن أبدل بالضيا ... سود الدياجى أو أجرّع صابا

فأبن عن البرهان حتى أنثنى ... إن كنت ترضى للصديق لعابا

وإذا أردت مودة فاقرأ أخى ... الحق طاول فى السماء شهابا

صافور — دقهلية

أحمد محمد عبد الرحمن باز

(مجلة الإسلام)

العدد ٤١ السنة الرابعة ص ٣٣